العلاقات التاريخية بين اليمن وفلسطين وأثرها في حركة الفتح الإسلامي

حفظ الله ناصر عبدالله مصلح نصاري
كلية التربية والعلوم برداع، جامعة البيضاء، الجمهورية اليمنية
Eail.baydaauniv.net
DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v6i3.613

الملخص

تأتي أهمية البحث، كونه يقدم الكثير من القرائن التاريخية الدالة، على عمق الصلات التاريخية المشتركة والروابط بين الشعبين لموضوع مهم في تاريخ العلاقات التاريخية بين اليمن وفلسطين بتأكيد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والمصادر التاريخية التي أشارت إلى وجود قبائل عربية يمنية كانت تقيم في بلاد الشام (ومنها فلسطين) منذ الألف قبل الميلاد وحتى الفتح الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الجزيرة العربية-التجارة-اليمن-فلسطين.

The Historical Relationships between Yemen and Palestine and it's Impact on the Islamic Conquest Movement

H. N. Nusari
Faculty of Education and Science at Rada'a, Albaydha University.

Abstract

The importance of the research comes from the fact that it provides a lot of historical evidence indicating the depth of the common historical connections and ties between the two nations Yemen and Palestine as confirmed by the Holy Qur'an, the purified Sunnah of the Prophet, and historical sources, which indicated the existence of Yemeni Arab tribes that resided in the Levant (Including Palestine) since a millennium BC until the Islamic conquest.

Keywords: *the Arabian Peninsula, historical relations, Yemen, Palestine.*

.

المقدمة:

مثل موقع اليمن الحضاري في الجزيرة العربية أهمية خاصة بعلاقاتها مع جيرانها ومع بلدان وحضارات اخرى مجاورة وغير مجاورة، وكان لتلك العلاقات أثر واضح عبر التاريخ، على مستوى التجارة والثقافة والاديان، وتجلت تلك العلاقات واثرت في حركة الفتح الاسلامي لبلاد الشام من خلال القبائل العربية اليمنية التي هاجرت إلى فلسطين مع موجة الفتح الإسلامي لتلك الجهات.

وقد استرعى ذلك اهتمام المؤرخين المعاصرين عند دراسة حركة الفتوح الإسلامية، وترك أثراً بينا في أثناء تعليل النصر الذي أحرزه المسلمون، وتفسير السرعة التي تمت الفتوحات لهذه البلاد في القرن الأول الهجري السابع الميلادي، وأثره الكبير في حياة المجتمع، الثقافية، والعلمية. والتي ما لبثت أن زادت الروابط الإيمانية ترابطاً وتلاحماً في ظل الإسلام.

معرفة الصورة التي شغلها اليمنيون في تطوير الأمصار بعد الفتح، حيث أصبحوا إلى حد ما أنصار التمدين. كما مثلوا السواد الأعظم من السكان العرب في دمشق والقدس بعد الفتح حيث ينتمون كلية الى المناطق اليمنية. وفي سبيل تحقيق أهداف البحث تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وجزء من أسلوب تحليل المضمون، من خلال تحليل ما ورد من خلال المصادر والمراجع.

تم تقسيم البحث إلى أربعة مباحث رئيسة.

المبحث الأول: أهمية موقع اليمن من الجزيرة العربية.

المبحث الثاني: دور أهل اليمن الحضاري في بلاد الشام ومنها فلسطين.

المبحث الثالث: أثر أهل اليمن الجهادي في الفتح الإسلامي لفلسطين وسائر بلاد الشام.

المبحث الرابع: الصورة المضيئة التي شغلها أهل اليمن بعد الفتح في بلاد الشام ومنها فلسطين.

توصل البحث إلى عدة توصيات ونتائج أبرزها:

1-أكد البحث من خلال المصادر التاريخية على أهمية موقع اليمن من الجزيرة العربية، كمهد للعرب الأول، قامت فيها حضارة مزدهرة، أسهمت في تقدم الحضارة الإنسانية في مختلف الجوانب الاقتصادية والزراعية والصناعية والثقافية، كما أسهمت مع غيرها في صياغة معالم الحضارات الراقية الأولى.

2-أكد البحث من خلال القرائن التاريخية الدالة، على عمق الصلات التاريخية المشتركة والروابط الإيمانية بين الشعبين اليمني والفلسطيني.

3-أجمعت المصادر والباحثين على الأثر الجهادي البارز لأهل اليمن في حركة الفتح الإسلامي لفلسطين وسائر بلاد الشام.

4-أكد البحث على الصورة المضيئة والمتميزة التي شغلها أهل اليمن في تطوير الأمصار بعد الفتح الإسلامي.

مشكلة البحث:

تمثلت إشكالية البحث، في أن الأبحاث الأثرية والتاريخية والحضارية لتاريخ العلاقات بين اليمن وفلسطين قليلة ولم تحظى بالدراسات التاريخية الكافية.

وانطلاقا مما سبق تناول هذا البحث الدور التاريخي والحضاري لليمن كتأصيل تاريخي للعلاقات بين اليمن وفلسطين وأثرها في حركة الفتح الإسلامي لبلاد الشام ومنها فلسطين.

المبحث الأول: أهمية موقع اليمن في الجزيرة العربية.

كانت الجزيرة العربية مهد العرب، عرفت في التاريخ بجزيرة العرب، اليها كان يسير آدم وبها كان قُطُونه، وفيها البيت الحرام، وبيت المقدس، وفيها مركز الإسلام، وآثار الأنبياء، ومعدن الرسالة. يسمّيها بطليموس: "ماروى تقطَع أربعة أقاليم من عُمْران الشمال، إلى الخامس فجنوبيّها اليمن، وشماليّها الشأْمُ، وغربيّها شَرْم أَيْلةَ وما طردته من السّواحل إلى القُلْزُم وفُسطاطِ مِصْر، وشرقيّها عُمَان الى البَحْرَيْن وكَاظِمَة والبَصّرَة وموسَطُها الحِجَاز وأرض نجد والعَرُوض، وتسمى جزيرة العَرَب لأن اللِّسَان العربي في كلّها شائع"(الهمداني، 2014م، 1). فأطلق الجغرافيون اليونان والرمان على اليمن اسم " العربية السعيدة "(Arabia Felix) (سالم ،1967م، ج1، 86).

ويبدو من هذا المسمى التاريخي لليمن، أنه يحمل في طياته أكثر من دلالة، تتجلى لنا من خلال هذه الدراسة. تقدر المصادر التاريخية مساحة اليمن، نحو الثلثين من ديار العرب (الأصطخري، 1967م، 14)."يحد اليمن من الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر(القلزم). وهو:" بلد طويل عريض، حده ما يلي مكة إلى الموضع المعروف بطلحة الملك (قرية جنوب مكة) سبع مراحل.

ومن صنعاء إلى عدن، هو آخر عمل اليمن تسع مراحل. والمرحلة خمسة فراسخ إلى ستة. والحد الثاني من والدي واحا إلى ما بين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة، ويلي الوجه الثالث بحر العرب على ما ذكرنا أنه بحر القلزم والصين والهند، فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة"(المسعودي، 1966م، 351).

ويقول الهمداني:" سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، والبحر مطيف بها من الشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب، ويفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب، خط يأخذ من حدود عمان ويَبْرين، إلى حد ما بين اليمن واليَمَامَة، إلى حدود الهُجَيْرَة وتَثْلِيث، وأنهار جُرَش

وكتنة، منحدراً في السَّراة على شعف عنْز، إلى تهامة على أم جَحْدَم، إلى البحر حِذاءَ جبل يقال له: كُدُمَّل (جبل وسط البحر) بالقرب من حَمِضَة "(الهمداني، 2014م، 51).

واليعقوبي فقد أحصى عدد مخالف اليمن فوجد أنها ٨٤ مخلافاً (اليعقوبي، 1892م، 317).

ومما زاد من أهمية موقع اليمن أنه، كان يضم العديد من الجزر المنتشرة في كل من البحر الأحمر والمحيط الهندي، وهذه الجزر لها أهمية استراتيجية وملاحية، فهي تشرف على طرق التجارة كما أن بعض منها أقيم عليها منارات لإرشاد السفن. مثل: جزيرة دهلك فرسان، كمرات، زيلع، جزر زقر، جزر فاطمة، جزيرة ميون (بريم)عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر. وفي البحر العربي مثل: جزيرة سقطرة، وكوريا موريا ومصيره (الهمداني، 2014م، 52-53).

لا شك فيه أن الموقع الجغرافي لليمن قد جعلها في وضع يؤهلها للتحكم في الملاحة البحرية مما هيأ لها أن تلعب دوراً في تاريخ التجارة الدولية القديمة وإرساء عديد من الصلات البشرية والثقافية الاقتصادية الاجتماعية مع بلاد الشام، والعراق، ومصر ومع بلدان ساحل شرق إفريقيا.

وتأتي الأهمية الكبرى لموقع اليمن من كونه يقع على البحر الأحمر والخليج العربي، مما جعله معبراً للتجارة العالمية إلى فارس، وشرق البحر المتوسط (بلاد الشام)، ومصر، وبلاد الاغريق، وروما من جهة، ومع الحبشة، وشرق أفريقية وسيلان والهند والصين من جهة أخرى.

كما أن موقع الجزيرة العربية الجغرافي ومرور التجارة الدولية بها مكّنا العرب، وبخاصة عرب جنوب الجزيرة، أن يكونوا وسطاء في التجارة الدولية، بين الهند والحبشة، ومصر، والشام، والعراق (ضاهر، 2000م، 200).

وملتقى ايضاً للتجارة الدولية إلى فارس، وشرق البحر المتوسط، بلاد الإغريق من جهة، ومع الهند من جهة أخرى. ونظراً لأهمية موقع اليمن الإستراتيجية والتجارية، جعلته هدفاً ومطمعاً لغزوات اجنبية مرات عديدة عبر تاريخه القديم والحديث والمعاصر.

المبحث الثاني: دور أهل اليمن الحضاري في بلاد الشام ومنها فلسطين.

خلق الله العالم، ثم خلق الإنسان، أول خلق كان اسمه آدم، ومن ذريَّة آدم" نوح" الذي كان آحدُ أبنائه" سام" من هنا تأتي عبارة "الساميّة "التي تعني لغوياً (الشعوب المنحدة من سام بن نوح) (سميث، 2007م، 466).

كانت بلاد اليمن أكثر بلاد العرب تحضراً قامت، بها ممالك قديمة، يمكن ذكر بعض مدنها التي كانت في واقع عواصم وحواضر مهمة مثل: قرناو وبراقش، وصرواح، وشبوة وميفعة، وتمنع وحريب، والعلا والحِجر، وظفار وشبام، وصنعاء، وتتميز اليمن عن غيرها من الحواضر العربية، بإنها توضح لنا نموذجاً فريداً في أسلوب تخطيط المدن العربية القديمة وبنائها، ويتبين لنا من، آثارها العظيمة مثل:" ناعط وغمدان، وهَكِر ورَيْدَان، وبَيْنُون وغَيْمَان، وبِرْك العِمَاد، وارَم ذات العِماد (الهمداني، 2014م، 3).

إرَمُ ذات العِماد؛ " بين صنعاء وحضرموت، من بناء شدّاد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح، مكث في بنائها خمسمائة عام فبعث الله تعالى إليه هوداً النبي عليه السلام فدعاه إلى الله تعالى فتمادى في الكفر والطغيان"(القزويني، 1989م: 15-16). ويرى الزمخشري أن شداد هو الذي بنى مدينة إرم في صحراء عدن (ابن خلدون، م2، 35).

وقد جاء ذكرها في كتابه الله الكريم بقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(٦) إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ(٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ(٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ(٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ(١٠)} [سورة، الفجر:6-10]. "وعاد هم قوم هود عليه السلام" (ابو الفداء، ج1، 21). يذهب المؤرخون العرب إلى القول بأن مساكن عاد كانت تقوم في الأحقاف من اليمن، بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر (المسعودي، ج2، 40)، (أبو الفداء، ج2، 40)، (ابن خلدون، م2 ، 34). وهذا يدل على أن اليمن قد شهدت بعضا من الرسالات السماوية مثل دعوة النبي هود عليه السلام.

حيث يميل أغلب المؤرّخين إلى أنَّ دعوته كانت في اليمن. وقد سردة سورة "الأحقاف" خبر هذا النبي وقومه عاد في وادي الأحقاف من حضرموت ببلاد اليمن، وبها قبر هود عليه السلام (المقدسي، 1998م، 37). وذكر "نيبور":" وفي حضرموت تقام زيارة سنوية إلى قبر النبي هود"(نيبور، 1990م، ص214). ويحدد الهمداني وادي الأحقاف بأنه:" وادٍ يأخذُ من حضرموت إلى مهرة مسيرة أيام...كانت مساكن عاد أعمر بلاد الله وأكثرها عمارة وزرعاً وشجراً "(القزويني: 1989، 66). جاء في قوله تعالى: {وَاذْكُر أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَومَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ..}[سورة :الأحقاف: من الأية ٢١]. إن القرآن الكريم لا يوثق خارج منهجه، إنه لا يتكلم عن الحقيقة، إنه الحقيقة ذانها (Kenneth, 1988, p 18)؛ وهذا يفسر لنا وبحق قدم الجذور التاريخية للهوية الإيمانية لأهل اليمن كنعمة يجب الحفاظ عليها، وخطورة الانحراف عنها كدروس وعظة وعبرة للأجيال.

أما الآثار الباقية في اليمن تعد قرائن حية تؤكد على حضارة أهل اليمن وأصالتها ومنها: تلك القصور التي لا نظير لها في الجزيرة العربية في عظمة البناء وفخامته " وقد تفاخرت الروم وفارس بالبنيان، وتنافست فيه، فعجزوا عن مثل: غمدان، ومأرب وحضرموت، وقصر مسعود، وسد

لقمان، وسلحين، وصرواح، ومرواح، وبينون، وهندة، وهنيدة، وفلثوم"(ياقوت، م4، 110).

كما شهدت اليمن، ازدهار في عمارة وسائل حفظ المياه وتصريفها، من حفر للعيون ومد للقنوات وعمارة للسدود والبرك، ويمكن مشاهدة آثار هذه المعالم الحضارية اليوم في بلاد اليمن. ولا أدل من ذلك من منشأتها، حيث حققوا أعظم مشروعات للري في العصر القديم، وقد كثر عدد السدود في اليمن حتى قيل إنه بيحصب العلو ثمانون سداً، ذكرها تبع بقوله: وَبِٱلرَّبْوَةِ الخَضْرَاءِ مِنْ أَرْضِ يَحْصبِ ثَمَانُونَ سُدًّا تَقْلِسُ المَاءَ سَائِلَا (الهمداني، 2014، 101). أقام اليمنيون سدوداً كثيرة في مختلف مناطق اليمن، لكن سد مأرب يعد من أهم أعمال الري في اليمن، وصفه أحمد فخري بأنه" أشهر آثار اليمن، وأعظم عمل هندسي في الجزيرة العربية" (فخري، 1963م، 255).

فالسدود اليمنية والقنوات والعيون والآبار والبرك المعروفة قبل الإسلام، ظلت مستمرة ومزدهرة في العصور الإسلامية. ويمكن الاعتماد في تفسيراتنا لهذه الأثار على أسلوب المقارنة، حيث نجد تأثيرات جنوب الجزيرة العربية على المنشآت المعمارية المائية في وسطها وشمالها، خاصة في نظام بناء مستودعات حفظ مياه السيول والأمطار(البرك) المبنية على طرق الحج المؤدية إلى الأراضي المقدسة (الجاسر، 1975م، 250).

وعلى ذكر البرك يمكن الإشارة إلى ما حققه عرب جنوب الجزيرة، عندما أنشأوا البرك ذات الأشكال والأحجام المختلفة على سفوح الجبال وعلى حواف الوديان، أنتقل هذا النظام بدون شك إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية، في فترة ما قبل الإسلام وأثناء العصور الإسلامية، بدليل أن الترابط المعماري والفني بين البرك في جنوب الجزيرة والبرك التي أنشئت على المسالك ودروب الحج في باقي أنحاء الجزيرة، يمكن ملاحظته في يسر وسهولة (الراشد، 1984: 166).

ولهذا تميزت بلاد اليمن قديماً بشهرتها بالزراعة، يقول الأصمعي:" أربعة أشياء قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليمن: الورس والكندر والخِطْرُ (القزويني، 1989، 65).

ولقد أشار عدد كبير من كتاب اليونان والرومان إلى ثروات اليمن ومميزاتها منهم:(بلنيوس) حيث أكد على هذه المميزات التي اختصت بها بلاد اليمن، واعتبر السبئيين أشهر قبائل العرب في إنتاج اللبان والبخور (حتى، 1953م، 57). ووصف ديودور الصقلي بلاد سبأ فقال:" في داخل البلاد غابات كثيفة تنمو فيها أشجار البخور والصبر الضخمة وأشجار النخيل والكافور وغيرها من الأشجار ذات الرواح العطرية. أما السبئيون فإنهم متفوقون على جميع العرب المجاورين، وغيرهم من الشعوب، بثرواتهم وبذخهم بنوع خاص (برين، 1963م، 30).

وكان لهذه المنتجات الزراعية اليمنية سوق رائجة في مصر والشام والعراق، إذ كانوا يستخدمون اللبان اليمني مع البخور في المعابد، كما كانوا يستخدمونه في تحنيط الموتى. كما يشير استرابو أن السبئيين جمعوا ثروات هائلة من التجارة في الطيوب، وقد انعكس ذلك في صناعاتهم وفنونهم كما انعكس في حياتهم الاجتماعية والتحف الرائعة التي تزخرف قصورهم، التي بالغوا في تزيينها وتذويقها على نحو تجاوز كل تقرير في الحسبان (حتى، 1953م، 57).

ولا أدل على ذلك لقوتهم الاقتصادية لم يكن عرب جنوب الجزيرة يجهلون قبل الإسلام استعمال النقود وتداولها وسكها، فقد سك أهل الجزيرة (الممالك العربية الجنوبية بصفة خاصة) العملة من الذهب والفضة والمعادن الأخرى. Bran, (44 :1971). ونقشوا عليها صور الملوك وأسماءهم وأسماء المدن التي ضربت فيها حروف المسند (زيدان، 1979: 185). نفسر أن عملية ضرب النقود دليل أنها كانت تتمتع باستقلالية وإمكانيات اقتصادية وصناعيه متطورة؛ حيث اشتهرت اليمن كذلك بتوافر معادن الذهب، والرصاص والفضة والحديد، والعقيق (ابن رسته، 1891م، 97-113). إنعكس كل ذلك على صناعتها ومن أهمها حينذاك صناعة الجلود وصناعة المنسوجات، وصناعة السيوف والرماح اليمنية (ابن حوقل، 1963م 43). وقد وضحت الآثار المكتشفة على صناعة الإسمنت الذي يطلق عليه القضاض، واستعملوا السعات المائية، وتصنيع الأحجار الكريمة، كما اشتهرت اليمن بصناعة مواد الزينة الخاصة بالبناء، وباستخراج الحديد وصناعته (عنان، 22).

وأحكموا سيطرتهم على طرق التجارة البرية لفترة طويلة بين الشمال والجنوب على طول الطريق من الجوف، وتيماء العلا إلى فلسطين (سالم، 1967م، ج1، 103-104). وكان لهم أسطولهم التجاري الكبير الذي يتولى نقل هذه التجارة إلى بلاد الشرق القديم، وكان لهذا النشاط التجاري في بلاد اليمن أثر كبير في قيام دويلات عربية على تخوم الشام والعراق في عصر الجاهلية منها دولة الأنباط ودولة التدمريين ومملكة المناذرة بالحيرة (سالم: ص6).

تحرَّك اليمنيون القدماء على مسرح الجزيرة العربية، وأنجزوا تاريخ مشهود، ولئن شكّكنا في التاريخ الإخباري الذي يتضح أنه سلك طريق المبالغة، وترويج الأساطير، فإن دور اليمنيين القديم مأخوذ عن لُقَىً أثرية مميَّزة، وشواهد كتابية معلومة، وأومأت إلى حضارتهم قرائنُ خارجية ثابتة تدُلُّ على أنَّ امماً أخرى في ذلك الزمان تناقلت طُرفاً من أخبارهم، وتبادلت شيئاً من سُبُل معاشهم وحضارتهم. تجدر الاشارة إلى

أن ما رواه مؤرخو العرب عن فتوحات (شمر يهرعش بن ياسر يهنعم) ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت، لا يعدو قصصاً خرافية كما يرى البعض من الكتاب لأن ما كتبوه عن تاريخ اليمن لم يعتمد على النقوش والآثار.

يمكن أن يستدل منها على الحياة السياسية والعسكرية للحميريين. حيث ذكر أنه غزا أرض العراق وفارس وخرسان وافتتح مدنها وخرب مدينة الصغد وراء نهر جيحون وبنى مدينة هناك عرفت بشمرقند وهي التي تعرف باسم سمرقند (ابن هشام، ص222). وبسط نفوذه على الهند وغلب على أرض الصين وأخضع فارس وخرسان والشام ومصر (ابن منبه، ص227-236).

ومن ملوك اليمن الذي تردد صداه في روايات المؤرخون العرب أسعد الكامل تبع ينسبون إليه فتوحات واسعة وصلت إلى تركستان (المسعودي: ج٢، ص76) فأضيفت عبارة (واعرابهم طوداً وتهامة) إلى اللقب الملكي دلالة على ضم التهائم والهضاب والضاربة في قلب الحجاز إلى حكم ذلك الملك وإخضاع القبائل التي كانت تقيم فيها (بافيقه، 1985م،151). ويبدو أن أسعد الكامل هذا هو المشار إليه في قوله تعالى: {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَومُ تُبَّع} [الدخان: في الأية٣٧-٤٤]. وكان تبع " أول من كسا الكعبة وأوصى به ولاته من جُرهم، وأمرهم بتطهيره، وألا يقربوها دماً ولا ميتة ولا مئلاة [حرقة المحائض] وجعل لها باباً ومفتاحاً"(ابن هشام، ج1، 21).

وتجدر الاشارة إلى أن الملك المؤمن، الصعب بن ذي مرائد بن الحارث الرائش بن حمير بن سبأ الملقب (ذي القرنين) الذي حكم مشارق الأرض ومغاربها من اليمن، كما جاء في ابن هشام، والطبري، وابن كثير، والمقريزي).

وقد حكى لنا عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ويسألونك عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكراً(٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَباً(٨٤)} [سورة: الكهف].

ومن هنا يمكن القول: إن اليمن عرفت الاستقرار منذ فجر التاريخ، وإنها كانت رائدة على اعتبار الاعتقاد السائد أن اليمن كانت من بقاع مهد الحضارات، وكانت كغيرها من مدن الشرق لقديم مركز انطلاق للنشاطات البشرية، قامت فيها حضارة مزدهرة، أسهمت في تقدم الحضارة الإنسانية في مختلف الجوانب الاقتصادية والزراعية والصناعية والثقافية، كما أسهمت مع غيرها في صياغة معالم الحضارات الراقية الأولى.

ومما يؤكد على ذلك حيث لا يكاد يختلف عالمان حول حضارة سبأ وقوة ازدهارها، تأكيد القرآن الكريم على آية سبأ كما قال الله سبحانه وتعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}(سورة سبأ: 15). وفي هذا الصدد يؤكد الباحثين أنه: خلال لقرن الأول قبل الميلاد كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب واقعا في يد أهل اليمن (السبئيين والمعينيين) (سالم، 1967م، ج1، 103). وكانوا على اتصال مع المحيط بهم، ولعبوا دوراً بارزاً في الربط بين الشعوب المحيط بهم. بل أصبح لهم نفوذ وتأثير سياسي واقتصادي على المنطقة الممتدة من الحجاز الى الشام (شكري، 1986م، 207).

وكان للتجارة أثر على امتداد نفوذها السياسي الى بلاد كثيرة تقع على طرق التجارة، حيث وجدت نقوش وأختام ونقود معينية في جنوب فلسطين وعلى طول نهر الفرات الأدنى، كما وصفهم بطليموس بأنهم شعب قوي (عاقل، 1983م، 92). إذن لا تعوزنا القرائن الدالة على قدم العلاقات بين اليمن وبلاد الشام ومنها فلسطين، التي تعود إلى عصور سحيقة في القدم.

إن صلات اليمن ببلاد الشام (ومنها فلسطين) قد حكمتها عدة عوامل كعامل الأصل العربي الوحد، وعامل الدين، والعامل الاقتصادي الذي لعب دور مهم في صياغة هذه العلاقات، وخاصة مع السبئيين خلال النصف الأول قبل الميلاد، وهي علاقات قامت على الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة، باعتبار أن الطرق التجارية القادمة من سبأ تخترق مدن الجزيرة العربية، وصولاً الى بلاد الشام حتى ميناء غزة في فلسطين على البحر الأبيض المتوسط.

كما يبدو أن علاقات اليمن الإقتصادية فرضت في الوجود البشري والسياسي والحضاري في خط الحجاز -الشام ومنها فلسطين (نيلسون، 1958م، 42-43).

فاليمن في رأي (فلبي) وجماعة آخرين من المستشرقين هي " منبع السامية، ومهد العرب، ومصنع العرب (Philby, 1949 :34) كانت أشبه بمستودع بشري كبير للعناصر السامية القديمة ، انطلقت منها الموجات البشرية بعدد كبير إلى سائر الأنحاء ، على حقب متباعدة يفصل بين الواحدة منها والأخرى ألف عام ، قبل الإسلام (298: 1911 Caetani،) وهناك إشارات تاريخية عن وجود قبائل عربية يمنية كانت تقيم في بلاد الشام (ومنها فلسطين) في الألف الأول قبل الميلاد وحتى الفتح الإسلامي، ومنها قبائل أقامت في القدس وحواليها(قاسمية، 2000م، 23-24)

ونستطيع القول: إن أهل اليمن قد نقلوا إلى بلاد الشام ومنها فلسطين ومضات من ثقافتهم وحضارتهم، كالخط واللغة والدين والعمارة وغيرها ... تتجلى بالتالي:

لم تخل طبيعة جنوب الجزيرة العربية من تأثير في عقائد وثنية في سكانها الأوائل، حيث تطلع أهلها إلى صيب السماء وأمطارها، واعتماد قوافلهم على هداية القمر والنجوم،

إذ اتجه تدينهم إلى السماء أكثر من غيرهم، مدركين لأهمية معرفة الفلك في تنظيم أوقات الزراعة والسقي والرياح والليالي المقمرة، فقد برزت لديهم عبادة النجوم والكواكب السيارة، وجعلوا " القمر، الشمس، والشعرى"(نيلسن، 1958م، 171).

وتجدر الإشارة إلى أن عقيدة الإله الواحد قد عرفها أهل اليمن كما ذكرنا سابقاً وهي أقدم ديانة ظهرة بين البشر، وما الوثنيات إلا أعراض طارئة بجانب هذه العقيدة، حيث عزَّزَ الله هذه الفطرة الإيمانية بإرسال الرسل والأنبياء إلى جميع الأمم كلما انحرفت عن جادة الصواب، وحادت عن الفطرة السليمة، قال تعالى: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}(سورة: فاطر ، 24)، وقد شهد اليمن كما ذكرنا سلفاً بعضا من هذه الرسالات السماوية مثل دعوة النبي هود عليه السلام.

كما عرف أهل اليمن التوحيد عن طريق دعوة نبي الله سليمان عليه السلام، وقد وردت تفاصيل ذلك في سورة النمل، والشاهد في هذه الآية أن ملكة سبأ استجابت لدعوة النبي سليمان عليه السلام فور دعوته لها. ويرد ذكرها في سفر التكوين في التورات "بلقيس التي تزوجت سليمان كانت ملكة سبأ"(عاقل، 1983م، 92). وقد يستنتج منه أن اليمنيين في هذه الفترة قد عرفوا التوحيد كامتداد لهويتم الإيمانية.

ودليل بعض الباحثين على أثر امتداد النفوذ الثقافي لأهل اليمن، على بعض الشعوب ومنها الخط المسند الذي عرف في اليمن هو الذي اشتقت منه سائر الخطوط ومنها الخط الفينيقي (Montgomery, 1949، 126)

وهناك من يذهب إلى القول بأنهم من اخترع الألفباء وأنها انتقلت من عندهم الى سيناء وبلاد الفينيقيين ومنها إلى اليونان (عاقل، 1938م، ج1، 92). ويعد القلم المسند؛ هو أبرز الأقلام السامية ، وأقدمها وقد استعمله المعينيون وتفنَّن فيه السبئيون والقتبانيون والحميريون يقول جواد علي: "والمسند من الأقلام العتيقة ، وهو أعتق من القلم النبطي ، بل أقدم الأقلام التي عُرِفَتْ في الجزيرة العربية ، حتى من الأبجدية الكنعانية ويضيف أن الكثير من الباحثين يعتقدون " أن الأقلام التي عثِرَ عليها في الجزيرة العربية كلها متفرّعة من المسند ، وهي تعد متأخِّرة إلى حوالي القرن الأول الميلادي ، ونكاد نلمس أثر المسند في الكتابة الحبشية في الوقت الحاضر دون عناء كبير ، وهذا يشير بالطبع إلى أثر الثقافة اليمنية في الحبشة وفي السواحل الأفريقية المقابلة لبلاد العرب(الثقافة الوطنية، 2024م: 120).

وإن تأثير هذه الكتابة العربية الجنوبية على الشمالية لابد أن يكون أمراً مسلَّمَاً به، وفي ذلك يقول الجاحظ:" وليس في الأرض أمة بها طرق أولها سكة، ولا جيل لهم قبض وبسط، إلا ولهم خط. ولا يخرج الخط من الجزم والمسند المنمنم" ويعد المسند أقدم من الجزم وسابق له كتبت به حمير أول من كتب (الصفدي، 1989م، 116-117).

ومن آثار هذا الخط الختم الذي عثر عليه في بيتل بفلسطين (بافقيه، 1985م، 192) ومن هذا المنطلق فالكتابة تعد إذاً من أهم المصادر التاريخية التي يعتمد عليها في معرفة الصالات التاريخية والثقافية والحضارية بين الشعوب.

حيث تؤكد لنا هذه الدارسة التي يرى فيها: " قلنا إن هناك لغة عربية أُم (لا نعرفها) تفرعت إلى لهجات منها اللهجة العربية الأكادية بفرعيها البابلي والآشوري، واللهجة العربية الكنعانية، واللهجة العربية الآرمية وجميع تلك اللهجات تنتسب إلى العرب العاربة، وليس إلى العرب المستعربة [التي منها قريش (وما حولها)] وهي التي أخذت (أي قريش) اللهجة العربية العدنانية(المستعربة)، ألا وهي اللهجة العربية الفصحى.

وهذه اللهجة ليست اللهجة الأم لكنها من هذه اللهجات امتازت عن سوها بمحافظتها على جذور الكلمة الثنائي والثلاثي (قبيسي، (٢٠٠٣م)، ص 28). ومعظم الدراسات تثبت أن اللغة العربية هى احد أفراد الأسرة السامية (رفعت، 2004م، 14) (أبو خليل، 2004م، 16) (عاقل، 1983م، 43). وتكاد تجمع آراء النسابين على أن قحطان يعود نسبه إلى سام بن نوح ، والعرب الذين انحدروا من نسل قحطان هم الذين يطلق عليهم النسابون اسم العرب العاربة أو العرب البائدة هم العرب الأصليون)، فمن العبارات المهمة التي أوردها " القلقشندي":" بالعاربة هم الأوائل الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها"(القلقشندي، ج:4 315) ، أما العرب البائدة فكانت في نظرهم السكان الأصليين في الجزيرة العربية : عاد ،وثمود ، جرهم ، وطسم ، وجديس، التي انقرضت كلها قبل الإسلام ، وكل ما يمكننا أن نقوله بثقة أن هذه القبائل عربية وتعرف بإسم العرب البائدة(عاقل، 1983م، ج1، 37)

أما إذا أتينا إلى أحد علماء اللغة المبرزين وهو" ابن منظور "فنراه يقول بصدد العرب: " واختلف الناس في العرب لِمَ سمُّوا عرباً فقال بعضهم: أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان، وهو أبو اليمن كلهم وهم العاربة... وقال أيضاً: " والعرب العاربة: هم الخُلَّص منهم .(ابن منظور: ج2 ، 723)،(الشمس، 2004م، 29).

وفي هذا المسار روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (سام أبو العرب، ويافث، أبو الروم، وحام أبو الحبش) (الطبري، ج1، 29)

ويؤكد أيضاً على نفس المسار وعلى عمق الصلات التاريخية والإيمانية والرابط بين اليمن والشام ومنها فلسطين في هذه الأحاديث التي تعد في غاية الأهمية ولها دلالة والتي

منها: -الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سبأ ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض؟ فقال:(بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة. فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير، عرباء كلها، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان) (أخرجه أحمد. ج1، 361)، و (الحاكم، ج2، 423) و (ابن عدي، ج4 ،1، 1470) و(الطبري ،1992) (البخاري في التاريخ، ج 7، 127) و (الطبري في التفسير، ج 19، 186) و (بن كثير في تفسيره، ج6، 491).

وعن عمرو بن عبسة السلمي قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض يوما خيلا، وعنده عيينة بن حصين بن بدر الفزاري، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:" أنا أفرس بالخيل منك" فقال عيينة: وأنا أفرس بالرجال منك. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:" وكيف ذلك؟" قال: " خير الرجال يحملون سيوفهم على عواتقهم جاعلين رماحهم على مناسج خيولهم، لابسو البرود من أهل نجد. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:" كذبت! بل خير الرجال: رجال أهل اليمن. الإيمان يمان إلى لخم وجذام وعاملة"(رواه أحمد في مسنده، ج4، 387) و (النسائي في الكبرى، ج5 ،92) و(الحاكم في المستدرك، ج2، 81) و (الطحاوي، في شرح مشكل الآثار، ج9 ،367).

كما تؤكد المصادر التاريخية أيضاً، على وجود هذه القبائل العربية اليمنية في بلاد الشام ومنها فلسطين، يعد أمر له اهميته في العلاقات التاريخية اليمنية الفلسطينية قبل الفتح الإسلام للشام كتالي: -

فقد قيل أن قوما من لخم أقاموا في فلسطين، لما روي أن وفداً من الداريين من لخم كان يضم تميم بن أوس واخاه نعيم بن أوس، ويزيد بن قيس وعرفه بن مالك، قدموا من الشام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقطعهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حبرى وبيت عينون ومسجد إبراهيم، فلما فتح الشام دفع ذلك اليهم (البلاذري، ج1، 153).

وكانوا ايضاً بنوا عاملة وهم من القائل العربية اليمنية، يقيمون قرب دمشق في جبل الجليل الذي يشرف على طبريا، ويمتد الى البحر المتوسط، وقد نسب إليهم وعرف باسم جبل عاملة (اليعقوبي، 1960م: 272)

وتذكر المصادر أن بني جذام من عرب اليمن، أقاموا في غزة وبعض منهم في بيت جبرين والعريش، وبعض ما بين طبرية، وعكا (ياقوت الحموي، ج2 ص37) ويقول الهمداني: " ماتياسر نحو البحر من البلد فهو يماني"(الهمداني، ص125). وباليرموك ويذكر المسعودي الغساسنة فيقول: " وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان وغوطة دمشق وأعمالها، ومنهم من نزل البلقاء في الأردن من أرض الشام (المسعودي، ج1، 109).

ويؤكد صاحب هذه الدراسة: " أن منطقة البلقاء كانت مطروقة لعرب الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الميلاد، بل أن الدول اليمنية قد أقامت لها مستوطنات على طرق التجارة كمعان التي كانت مستعمرة مهمة للمعينيين، وقد حملت هذه المستعمرة اسمهم فسميت بيت بعل معون، ثم جاءت في القرن الثالث الميلادي، قبيلة قضاعة اليمنية التي غلبت على معظم منطقة البلقاء واتخذت لها رأية سميت" البلق" ولعل في هذه التسمية ارتباط بين الراية ومناطق قضاعة في هذه المنطقة (خريسات، 1986م، 51).

كما يرى الحمارنة في دراسته:" أن هذه القبائل اليمنية العربية التي نزلت أرض الشام خاصة في القرن الثالث والرابع الميلادي، قد غذت الأرض الشامية بدماء جديدة فزادت في الكثافة السكانية وزادت بالتالي من ازدهار المنطقة وفاعليتها، ولم يخلق وجودها أي اضطراب أو عداوات، إذ في حقيقة الأمر انما نزلت في أرض الشعوب العروبية القديمة التي سبقتها في الهجرة والتي خلقت حضارات هذه المنطقة على مدى آلاف السنين خدمت بها الإنسان وقضية تقدمه منذ نشأة الحضارات) (الحمارنة، 1985م، 151).

فكانت العربية بشكل خاص هي التي فتحت له أبواب الشرق، إذ إن المادة الشرقية، بنمطها المقدس والمدنّس، كما يرى (جُوزيف راينو) وبصورتها الأكثر قدماً وجدوى، لم تكن لتوجد إلا بالعربية وبعبارة (كولردج):" فاللغة هي سلاح العقل الإنساني؛ وهي تحمل، في آن واحد، كؤوس فتوحاته الماضية وأسلحة فتوحاته المقبلة"(سعيد، 2003م، 156) ومما يجب الإشارة إليه أن القرآن الكريم قد جسد هذه اللغة العربية كهوية جامعة بين الشعوب وأعطى مساحة واسعة لقضايا تاريخية مهمة، استوعبت نحو (١٢٠٠آية) (عبد الحميد ،2007م، ص150). تزود القار الواعي بفوائد جديدة لم يكن الإنسان العربي يدركها من قبل، هو تاريخ الإنسان، وهويته الإيمانية الجامعة كامتداد يجب الحفاظ عليها والتمسك بها منذ النبي نوح إلى محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، كمصدر معرفي وحضاري لا غنى عنه فحتى البقايا والآثار التي تبدو قطعاً جامدة وهياكل هامدة إنما هي أشياء ناطقة بصمتها، مفعمة بالروح المتحركة الذي يضيف إلى الحياة معرفة وعبرة باستمرار.

المبحث الثالث: دور أهل اليمن في حركة الفتح الإسلامي لبلاد الشام ومنها فلسطين.

فلسطين قرة الكرة الأرضية، وملتقى القارات، ومحل طمع الطامعين، منذ فجر التاريخ والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى ذلك في حديثه الشريف الذي يناشد به

الصحابي الجليل معاذ بن جبل، حيث يقول:" يا معاذ، إن الله سيفتح عليكم الشام من بعدي، من العريش إلى الفرات، رجالها، ونساءها وإماؤها مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس، فهو في جهاد إلى يوم القيامة".

ومن هنا كانت الشام ومنها فلسطين محط اهتمام الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، لاسيما بعد معركة مؤتة سنة (8هجرية) بقيادة ، زيد بن حارثة الكلبي(ابن الأثير، ج3، 158) كما حرص أيضاً في المضي قدماً في هذا المسار وإعداد حملة إلى الشام ، رغم المرض الذي اعتراه ، وامَّر عليها أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، وأمره" أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين "(ابن هشام، ج 1، 114)، فالشام طبوغرافياً امتداد طبيعي للجزيرة العربية ، كما كان للشام مكانتها الدينية، ولا سيما القدس ، التي كانت قبلة المسلمين قبل مكة وكان إسراء الرسول منها، يضاف إلى ذلك كثرة القوافل التجارية التي كانت تتجه إلى القسم الجنوبي من بلاد الشام إلى غزة ، ويقرر، وكثرة القبائل اليمنية العربية الموجودة في هذه المنطقة التي أطلق عليها الطبري: اسم أرض قضاعة ، ويعني أرض فلسطين(الطبري، ج3، 387) وتعد قضاعة أشهر بطون حمير، ومن فروع قضاعة : بَلى، وجهينة، وكلب وبَهْراء ...(أبو خليل 2004م، 13)

كان اليمنيون سريعي الاستجابة لداعي الجهاد، وجاهدوا في سبيل الله، بأموالهم وأرواحهم حتى رفعوا راية الإسلام في كثير من بلدان العالم القديم، ودور أهل اليمن في الجهاد يمثل بحق أعظم أدوار تاريخهم (الفقي، 1981م، 4). وكان لهم أثرهم الواضح في قيادة وتوجيه دفة حركة الفتح الإسلامي لبلاد الشام ومنها فلسطين.

إن معظم الذين جمعهم أبو بكر لمقاتلة الروم في بلاد الشام كانوا من أهل اليمن (الأزدي، 1970م، 11)، توجه الكثيرون منهم -بكامل -معداتهم-إلى المدينة للاشتراك في جيش المسلمين، وقيل إنه بلغ عدد الواصلين منهم اليها ٢١ علياً في يوم واحد (الجرافي، 1951م، 44). فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير، وهم بالدروع والسيوف، وأمامهم ذو الكلاع الحميري، وجعل ينشد ويقول:

أتتك حمير بالأهلين والولد
أهل السوابق والعالون بالرتب
أسد غطارفة شوس عمالقة
يردوا الكماء غدا في الحرب بالقضب
الحرب عادتنا والضرب همتنا
وذا الكلاع دعا في الأهل والنسب
دمشق لي دون الناس اجمعهم
وساكنيها سأهويهم الى العطب.

قال فتبسم أبو بكر الصديق من قوله، ثم قال لعلي بن أبي طالب يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: " إذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فابشر بنصر الله على أهل الشرك أجمعين". فقال الإمام على عليه السلام: " صدقت وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"(الواقدي، 1966، ج1، 8).

وأقبلت من بعدها كتائب مذحج وأمامهم قيس بن هبيرة المرادي، ومن بعدها قبائل طيء يقدمها حارث بن مسعد الطائي، وأقبلت الأزد يقدمها جندب بن عمرو الدوسي وتتابعت قبائل اليمن يتلوا بعضها بعضا ومعهم نساؤهم وأموالهم، ملبين بذلك نداء الجهاد، مستعدين للبذل والعطاء، معلنين الشهادة أو النصر (الواقدي، 1966م، ج1، 8-9).

وانطلقت الفرق المجاهدة الأولى من أهل اليمن بانتظام وتخطيط نحو الشام وأصبح دورهم بارزاً وجلي في فتوح الشام ومنها فلسطين، سواء القبائل اليمنية القاطنة في بلاد اليمن والتي خرجت مثل: (حمير، والأزد، وهمدان، وخوان، ومذحج، وكندة، وحضرموت) أو القبائل التي كانت تقيم في بلاد الشام، مثل: (لخم، وجذام، وغسان، وعاملة، وقضاعة).

وشكّلت القوة التي تحركت باتجاه بلاد الشام في أربعة جيوش قوام كل جيش سبعة آلاف مقاتل، بقيادة قائد، وكانت هذه الجيوش كالتالي: عمرو بن العاص ووجهته فلسطين، ومعه في الجيش معاذ بن جبل، ذو الكلاع الحميري، فقابل جيشاً رومَّياً بقيادة (روبيس)، إنهزم فيها الجيش الروماني، وقد قتل في هذه المعركة التصادمية من الروم أكثر من خمسة عشر ألف فارس واستشهد من المسلمين مائة وثمانون رجل ختم الله لهم السعادة منهم سيف بن عبادة ونوفل بن دارم والأهب بن شداد والباقي من اليمن، ووادي المدينة، (الواقدي، 1966م، ج1، 20).

يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق، ومعه في الجيش أبرهة بن الصباح، وحشب ذوظليم، وجدير بن عبد الله الحميري، شداد بن ضمعج، ووائل بن حجر، عبد الله بن ذي السهمين الخثعمي (شجاع: 1987م،307-308)، فقاتل جيشاً رومّياً بقيادة (جَرَجة بن توذا)، وقد أنهارت قوى الجيش الرومي عندما قتل القائد العام لهذا الجيش، ولما علم قادة الألوية بمقتله فروا هاربين طالبين النجاة فتبعهم الجيش الإسلامي قتلا واسرا. وقد بلغ مجموع القتلى الفاً ومائتين، ومن جيش زيد مائة وعشرين (الواقدي، 1966م، ج1، 11).

شرحبيل بن حسنة، ووجهته البلقاء، فقابل جيشاً روميّاً بقيادة (روماس)، توجه جيش شرحبيل نحو بصري، وابتدأ القتال بين الجيشين، وكاد الجيش الرومي يتغلب على جيش المسلمين، لولا أن خالد بن الوليد الذي نفذ بجيشه الذي خرج من العراق، ودخل المعركة من الحركة فثّبت جبهة

القتال إلى آخر اليوم، وفي اليوم الثاني أعاد تنظيم الجيش وانتصر على الروم، وأرسل شرحبيل مع الغنائم شداد بن أوس إلى القائد الأعلى أبي بكر (وتر: 1999م، 170-171). أبي عبيدة بن الجراح، ووجهته حمص، ومعه في جيشه من اليمن حمزة بن مالك الهمداني، سعد بن قيس الهمداني، قيس بن مكشوح المرادي، (شجاع،1987م،307-308)، فقابل جيشاً روميّاً بقيادة (الفِيقَار بن نَسْطُوس) (أبو خليل، 2004م، 283).

بدأت المعارك الأولى على يد خالد بفتح بصري ذات المركز الديني النصراني والعسكري الرومي المتميز. حيث التقى بيزيد وشرحبيل وابي عبيدة. ثم اتجه الجميع جنوباً لنجدة عمرو بن العاص في وادي عربة. ولما عرف البيزنطيون بهذا التجمع العسكري العربي غيروا خطتهم وقصدوا أجنادين، وفي أجنادين جمع البيزنطيون قواتهم بقيادة (تيودور) أخي الإمبراطور هرقل وكانت القوات تفوق القوات العربية عددا وعدة، وخرج إليهم العرب المسلمين في وحدة متراصة تمكنت من الفوز عليهم فوزاً ساحقاً في جمادي الأولى من سنة (13هجرية/ 634م)، وألحقوا بتيودور العار ففر نحو خيه لجمع جيش جديد وإرساله ضد العرب لمنعهم من التقدم شاملاً (وتر، 1999م، ص 158-159) (زكار،2004 م، ص 221-222).

وهي من المعارك الفاصلة وكان المسلمون يدركون هذا تماماً، ويعبر عن أهميتها ما قاله معاذ بن جبل قائد ميمنة جيش المسلمين في جنده: يا معشر المسلمين اشروا (بيعوا) أنفسكم اليوم لله، فإنكم إن هزمتموهم اليوم كانت لكم هذه البلاد دار الإسلام أبداً مع رضوان الله والثواب العظيم من الله. وتحقق النصر، وأصبح زمام توجيه المعارك بيدهم (زكار، 2007م، 222).

وبالفعل توالت الانتصارات للمسلمين في معركة فحل، ومعركة مرج الصفر، وحصار وفتح دمشق في سنة (13 هجرية/634م) (الواقدي، 1966، ج2، /الطبري، ج2، ص 589)

وهكذا كان لأهل اليمن أثرهم في القيادة والتخطيط، وفي ساحة الجهاد، حيث كان أهل اليمن في طليعة الجيش العربي الإسلامي في موقعة اليرموك (أحمد، 1880م، ص16)، وعند اليزيدي نرى الأمر أكثر وضوحاً حيث يقول بصدد معركة اليرموك: " خرج الناس على راياتهم وفيها اشراف العرب وفرسانهم من رجالهم وقبائلهم وفيها الأزد، وهمدان، ومذحج، وخثعم، وقضاعة، والخم وجذام، وغسان، وعاملة، وكندة، وحضرموت، ومعهم جماعة من كنانة ولكن أعظم الناس من أهل اليمن".. ويبين الأزدي ذلك فيقول:" ولم يحضرها يومئذ أسد ولا تميم ولا ربيعة، ولم تكن دارهم وانما كانت دارهم عراقية فقاتلوا فارس بالعراق"(الأزدي، 1996م، 218). وكان في الجيش عدد عظماء المسلمين بينهم ألف من الصحابة ومائة ممن شهدوا بدرا (زكار، 2007م، 223).

ونشب القتال بين المسلمين والروم في المعركة الشهيرة التي تعرف في التاريخ بإسم معركة اليرموك سنة (13هجرية/ 636م)، وكان القتال عنيفاً أستبسل فيه الطرفان، وأنحاز جبلة بن الأيهم إلى الأنصار، وقال لهم: أنتم إخوتنا وبنو أبينا هو جماعة من قومه (البلاذري). لا شك أن سكان بلاد الشام هم امتداد لسكان الجزيرة العربية، الغساسنة كانوا يشكلون القسم الأكبر من السكان، بالتالي فإن سكان هذه البلاد لم يعتبروا الفاتحين العرب أعداء لهم بل رحبوا بهم كمحررين لهم أوعلى الأقل وقفوا على الحياد. حيث استطاع العرب المتدفقون نحو بلاد الشام أن يؤثروا في السكان الحليين وذلك بفضل اللغة، والمبادئ الدينية والإنسانية السامية التي يحملونها معهم (وتر، 1999م، 82)، وعملت رابطة القربى على تعجيل الاستعداد النفسي لعرب الشام في قبول شعارات المسلمين، والمشاركة في طرد البيزنطيين "(البطاينة، 1985م، 138). ولما بلغ هرقل ما أصاب جيشه من هزيمة رحل إلى القسطنطينية، فلما جاوز الدرب الذي يصل أرض الشام بأرض بيزنطة قال: " عليك يا سورية السلام، سلاما لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي إلا خائفاً" (ربيع، 1989م، 71) لقد انهت معركة اليرموك مصير سورية وفلسطين ومستقبل الحكم البيزنطي، وطوت صفحة تاريخية طويلة جداً من السيطرة الأوربية على بلدان في آسية وأفريقية.

المبحث الرابع: الدور الحضاري لليمنيين بعد الفتح في بلاد الشام ومنها فلسطين.

يجدر بنا القول إن نؤكد على الدور الذي شغله اليمنيون ، حيث يلاحظ أن جل القبائل التي شاركت في فتوح الشام ومنها فلسطين كانت يمانية الأصل ، وبعد الانتهاء من أعمال الفتح استقرت هذه القبائل في بلاد الشام (إبن حزم، ص 50- 51 / ابن أعثم ، ص 967- 978)، ولعبت دور متميز في تطير الأمصار ، فبعكس العرب القادمين من وسط الجزيرة وشمالها كانت لدى اليمنيين بعض الخبرة أو المعرفة بحياة المدن ، وبعضهم عاش - قبل الهجرة من الجزيرة - في مستوطنات مدنية ،وكانوا على تماس مباشر بغيرهم ، وبفضل تقاليد حياتهم المدنية استطاع اليمنيون التواؤم بسهولة أكبر مع ضرورات الحياة المدنية في البلاد المفتوحة وبالتالي اصبحوا الى حد ما انصار التمدين(آشور، 1985م، 27)، حيث كان (السمط بن الأسود الكندي) المتولي تقسيم حمص خططاً بين المسلمين ، فأسكنهم في المناطق التي خرج منها المحتل، أو الأرضي المتروكة(البلاذري، 155)،وتعيين بشير بن كعب

الحميري أميراً على اليرموك بعد الواقعة(بن الأثير: ج7، 472).

ويشهد على دورهم هذا النصوص التي تشير إلى تعينهم في المناصب البلدية العليا كما تشهد السجلات الأخرى، ولعب المستوطنون المنتسبون للقبائل اليمنية المختلفة الدور القيادي في تمدين الكوفة كما برز عرب الجنوب في المراحل الأولى من تطوير الفسطاط، أن السكان العرب في دمشق والقدس بعد الفتح ينتمون كلية الى المناطق اليمنية (آشور، 1985م، 27).

ويتفق المؤرخون قديماً وحديثاً، أن أهل اليمن كانوا السابقين في نصرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان لهم الأثر الواضح في الفتوحات الإسلامية، ونشر دعوة الإسلام، ومثلوا بحق طليعة الجيوش الإسلامية الفاتحة، وألفوا جزءاً كبير منها ، وكان لهم الدور الأكبر في وضع خطط المراكز الحضرية الإسلامية الأولى في بلاد الشام والعراق ومصر وشمال إفريقيا والأندلس، ومن تلك المراكز والأمصار التي استقروا فيها وأسهموا في تخطيطها وبنائها، البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وقد حملت تلك المدن ولا شك نفساً يمنياً وكانت امتدادا للتجربة اليمنية وللهجرة القديمة، علماً بأن ذلك كان ضمن نطاق الحضارة الإسلامية وأطرها الجديدة. (عبدالله، 1990م، 342).

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر القديمة:

1-ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين الشيباني الجزري، (ت 630هجرية)،(1965م). الكامل في التاريخ، (ج3)،(ط. دار صادر).

2-ابن الأزدي: محمد بن عبدالله، (ت232هجرية)،(1970م)،تاريخ فتوح الشام. تحقيق عبد المنعم عبدالله عامر. (مؤسسة سجل العرب. سلسلة من التراث العربي) القاهرة.

3- الأصطخري: إبراهيم بن محمد.(ت346).(1976م). مسالك الممالك، (ط. ليدن)،

4-ابن أعثم: أبو محمد أحمد الكوفي، (ت 314)، (1989م)، كتاب الفتوح،بيروت.

5-البلاذري: أحمد بن يحي بن جابر، (279هجريه)، (1957م)، فتوح البلدان، (ج1)، تحقيق صلاح الدين المنجد، (النهضة المصرية)، القاهرة.

6-ابن تغري بردي: جمال الدي، (ت874)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.(ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر)، القاهرة.

7-الجرافي: عبدالله بن عبد الكريم. (1951م)، المقتطف من تاريخ اليمن، القاهرة.

8- ابن حوقل: أبو القاسم محمد،(1963م)،كتاب صورة الأرض.(ط، بيروت)

9-ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، (1965م)، كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر. (ج2)، (بيروت).

10-ابن رسته: أبو على أحمد بن عمر، (1892م)، الأعلاق النفيسة، (الجزء7 من المكتبة الجغرافية العربية)، تحقيق دى غوية، (ليدن).

11-الطبري: محمد بن جرير الطبري، (ت 310هجرية)، (1968م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، (ط٢). دار المعرف، القاهرة.

12-أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل، المختصر في أخبار البشر، (1959م)، (صيدا).

13-القلقشندي: أبو العباس أحمد. (ت821هجرية)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (ج4). (سلسلة تراثنا)، مطابع كوستاتوماس، (عن الطبعة الأميرية)، (القاهرة).

14-ابن كثير: ابو الفداء عماد الدين إسماعيل الدمشقي، (ت 774هجرية)، (2009م)، البداية والنهاية، (ط1). (دار ابن الجوزي)، القاهرة.

15-المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن علي. (ت346)، (1964م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (ط4). (السعادة)، منشورات مكتبة الهلال، بيروت.

16-المقدسي: زكريا بن محمد محمود، (ت 480هجرية)، (1898م)، آثار البلاد وأخبار العباد، (ط. دار صادر)، بيروت

17-ابن منظور: محمد بن مكّرم جمال الدين، (ت 630). لسان العرب،(ج2)، بيروت.

18-ابن منبه: وهب، (1337هجريه)، كتاب التيجان في ملوك حمير، (ط، حيدر آباد الركن)،

19-الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر. (ت207)، (1966م)، فتوح الشام، تحقيق محسن عمر أبو نصر (ج1)، (ط. المكتبة الأهلية)، بيروت.

20-أبن هشام: ابو محمد عبد الملك، (ت 218)، تهذيب سيرة بن هشام، تحقيق عبد السلام هارون السلام هارون، (ج1-2)، (حمزة زملكاني).

21-الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد. (ت.334هجرية)، (1974م) صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد الأكوع، (ط. دار اليمامة)، الرياض. ومطبوعات مجمع العربية السعيدة، (2014م)، (صنعاء).

22-ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله، (1955م)، معجم البلدان، (خمسة مجلدات)، (ط، بيروت).
23-اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، (ت284). (1960م)، تاريخ اليعقوبي، (دار صادر)، بيروت.

ثالثاً: المراجع الحديثة:

24-أحمد: محمد عبدالعال، (1989م)، بنو رسول وبنو طاهر، وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما، (ط. دار المعارف الجامعية)، الإسكندرية.
25-آستتون، (1985م)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى. ترجمة عبد الهادي عبلة، (دار قتيبة للطباعة والنشر)، لبنان.
26-بافقيه: محمد عبد القادر، (1985م). تاريخ اليمن القديم. (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، بيروت.
27-البطانية: محمد ضيف الله، (1985م)، القبائل اليمنية وموقفها من حركة الفتح الإسلامي، (العدد19-20)، دراسات تاريخية، جامعة دمشق.
28-بيرين: جاكلين، (1963م)، اكتشاف جزيرة العرب ترجمة، قلعجي، (بيروت).
29-الجاسر: حمد، (1970)، في شمال غرب الجزيرة، (منشورات دار اليمامة)، (الرياض).
30-حتى: فيليب، (1953م)، تاريخ العرب. ترجمة، محمد مبروك نافع، (القاهرة).
31-الحمارنة: صالح، (1985م)، دور جذام في الفتوح الإسلامية، (العدد19-20)، دراسات تاريخية، جامعة دمشق.
32-خريسات: محمد عبد العال، (1986م)، البلقاء من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، (العدد21-22)، دراسات تاريخية جامعة دمشق.
33-أبو خليل: شوقي، (1991 م)، في التاريخ الإسلامي، (ط1. دار الفكر)، بيروت.
34-الراشد: سعد عبد العزيز، (1984م)، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، ندوة من ١٥-٢١محرم١٤٠٤هجرية الموافق21-27اكتوبر 1984م، قسم التاريخ وقسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، (ج2)، جامعة الملك سعود.
35-ربيع: حسين محمد، (1989م)، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (دار النهضة العربية). القاهرة.
36-زكار: سهيل، وآخرين، (2006م). تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى (عصر الرسول والخلفاء الراشدين)، (ط2). منشورات جامعة دمشق.
37-زيدان: جرجي، العرب قبل الإسلام، (ط. دار الهلال).
38-سالم: السيد عبد العزيز، (1967م)، دراسات في تاريخ العرب (تاريخ العرب قبل الإسلام). (ط. مؤسسة شباب الجامعة) الإسكندرية. تاريخ الدولة العربية، (نشر مؤسسة شباب الجامعة). (الإسكندرية).
39-سعيد: إدوارد، (2003م)، الاستشراق (المعرفة، السلطة، الانشاء). نقله الى العربية. كمال أبو ديب. (ط6)، (مؤسسة الأبحاث العربية)، بيروت.
40-سمث: هوست، (2007م)، أديان العالم، تعريب سعد رستم، (ط3)، (دار الجسور الثقافية)، حلب.
41-شجاع: عبد الرحمن عبد الواحد، (1987م) اليمن في صدر الإسلام. (ط1). دار الفكر. دمشق،
42-شكري: محمد سعيد، (1986م)، جغرافية اليمن في القرن الأول الهجري السابع الميلادي، (العدد21)، دراسات تاريخية، جامعة دمشق.
43-الشمس: ماجد عبد الله. (2004م)، في أصل العرب ومواطنهم، (ط1). منشورات دار علاء الدين، سوريا.
44-الصفدي: هشام، (1984م)، صلات الأبجدية العربية وخط القرن الأول الهجري بنظائرها في السامية الشمالية والجنوبية، ندوة من ١٥-٢١محرم١٤٠٤هجرية الموافق21-27 اكتوبر 1983م، قسم التاريخ وقسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، (ج2)، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
45-ضاهر: مسعود، (2000م)، مساهمة الدوري في تطوير الفكرة العربية، ندوة في، 1999م، مؤسسة عبد الحميد شومان، (ط1)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
46-عاقل: نبيه، (1983م)، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (ج1)، (ط3)، دار الفكر. بيروت.
47-عبد الحميد: صائب، (2007م). فلسفة التاريخ في الفكر المعاصر، (ط1)، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوسع. بيروت.
48-عبد الله: يوسف، (1990م)، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، (ج1)، (ط2)، (دار الفكر المعاصر، بيروت.
49-عنان: زين بن علي، تاريخ اليمن القديم، (المطبعة السفلية)، (د.ت).
50-فخري: أحمد، (1963)، دراسات في تاريخ الشرق القديم، (ط2)، (القاهرة).
51-الفقي: عصام الدين عبد الرؤف، (1981م) اليمن في ظل الإسلام (منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول). ملتزم الطبع والنشر دار الفكر. بيروت.
52-قاسمية: خيرية، (2000م)، بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وحدة لا تتجزأ، ندوة القدس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

53-قبيسي: محمد بهجت، (2003م)، العربيات من الأكادية وحتى العدنانية وعلم الدلالة، أبحاث المنتدى الدولي الأول للنقوش والخطوط والكتابات في العالم عبر العصور، من24-27 إبريل2003م، مكتبة الإسكندرية.

54-نيلسون: ديتلف. (1958م). الديانة العربية القديمة (فصل في تاريخ العرب القديم). تعريب. فؤاد حسين. القاهرة.

55-نيبور، (1990م)، المادة التاريخية في كتابات " نيبور" عن اليمن، تعريب. أحمد قايد الصيادي. (ط1)، (دار الفكر المعاصر)، بيروت.

56-وتر: محمد ضاهر، (1999م)، الريادة في حروب وفتوح أبي بكر الصديق، (منشورات اتحاد الكتاب العرب)، دمشق.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

57- Brian Doe, Southern Arabia (London , 1971)

58-Caetani, L,Arabia preistoricae L,esis Camento Terra...,Studi di stoia oriental,1,Milan,1911, 15 f,and 289 f (after Alois Muil, Northern Negd, Appendix).

59- Philby, The Background Of Ielam, Alexandria, 1949,

60-Montgomery, Arabia and The Bible, Philadelphia, 1934, Background,

61-Kenneth Cragg, trans, Readings in the Quran (London: Collins, 1988)